ردمد ٢٩٨٣-١٧٢٤

دولة الإمارات العربية المتحدة

دبي

مجلة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

إسلامية
فكرية
محكّمة

العدد التاسع عشر
ربيع الأول ١٤٢٨هـ-مايو ٢٠٠٧م

مَجلَّــة
كُلِّيَّةِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ والعربيَّةِ

إسلاميَّة، فكريَّة، محكَّمة
نصف سنويَّة

العدد التاسع عشر
ربيع الأول ١٤٢١هـ - يونيو ٢٠٠٠م

الإشراف العامّ
مجلس الشُّؤون العلميَّة والتَّعليميَّة والإداريَّة

رئيس التَّحرير
أ. د. إبراهيم سلقيني (عميد الكلِّيَّة)

مدير التَّحرير
د. محمَّد عبد الرَّحيم سلطان العلماء

هيئة التَّحرير
أ. د. حاتم صالح الضَّامن (قسم اللغة العربيَّة)
أ. د. رجب سعيد شهوان (قسم الشَّريعة)
د. عيادة أيُّوب الكبيسي (قسم أُصول الدِّين)

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩X

المحتويـــــــات

● **الافتتاحية**

التحرير ١١-١٦

● **تَدَبُّرُ القُرْآنِ بَينَ المَنْهَجِ الصَّحِيحِ والانحرافَاتِ المُعَاصِرَةِ**

د. عيادة بن أيوب الكبيسي ١٩-٥٨

● **مُوَازَنَةٌ فِي مَبْحَثِ (معرفة أسبابِ النُّزُولِ) بينَ الزَّرْكَشِيِّ والسُّيُوطِيِّ**

د: محب الدين عبد السبحان واعظ ٥٩-٨٩

● **تَحَمُّلُ الحديثِ وروايتُهُ من خلالِ وسائلِ التَّلَقِّي القَدِيمةِ والحَدِيثةِ**

د. صالح يوسف معتوق ٩١-١٢٢

● **حديث " لاَ تَرُدُّ يَدَ لاَمِسٍ " دراسةٌ نَقْدِيَّةٌ حديثيَّةٌ فقهيَّةٌ**

د. وليد محمد الكندري

د. مبارك سيف الهاجري ١٢٣-١٧٠

● **مَدَى سُلْطانِ الأَبِ في تَزْوِيجِ ابنَتِهِ فِي الفِقْهِ الإِسْلامِيِّ**

د. عيسى صالح العمري ١٧١-٢٠٢

● **مِنْ رُوَّادِ التَّجْدِيدِ فِي الدِّرَاسَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ**

د. سلامة محمد البلوي ٢٠٣-٢٤٩

● **التَّأْلِيفُ فِي مَثَالِبِ العَرَبِ حتَّى نِهَايَةِ القَرْنِ الثَّالِثِ الهجريِّ**

أ. أحمد محمد عبيد ٢٥١-٢٧٢

● **تَسْمِيَةُ الشَّيءِ باسْمِ الشَّيءِ إِذا كانَ مِنْهُ بِسَبَبٍ وأَوزانُ الاسْمِ الثُّلاثي لابن برِّي النَّحْوِيِّ المتوفَّى سنة ٥٨٢ هـ**

تحقيق الأستاذ الدكتور/ حاتم صالح الضَّامن ٢٧٣-٢٩٣

● **فِي تاريخِ عِلْمِ الصَّرْفِ ومُصْطَلَحاتِهِ**

أ.د. مازن المبارك ٢٩٥-٣١٢

● **الوضوحُ الدَّلاليُّ فِي المعارفِ وأَثَرُهُ فِي بنائِها وإِعرابِها**

د.محمد رباع ٣١٣-٣٣٩

● **القَصَصُ الاجْتِمَاعِيُّ فِي شِعْرِ الزَّهَاوِيِّ**

د. أحمد السيد أحمد حجازي ٣٤١-٣٩٠

التَّأليف في مَثالبِ العَرَبِ
حتَّى نِهَايَةِ القَرْنِ الثَّالثِ الهجريّ

أ. أحمد محمد عبيد(*)

ملخص البحث

عَرَفَ العربُ تسجيلَ المثالب، وعَدُّوا العلمَ بها من بابِ العلم بالأَنْسَاب،وشَرَعَ الإخباريُّونَ يَجْمَعُونَ ما وصلَ إليهم منْ مثالبِ العرب، بدأ ذلك زياد بن أبيه، ثمَّ تَطَوَّرَ هذا التَّأليف على أَيدي إخباريين كبارٍ كأبي عُبَيدةَ والهيثم بن عدي وابنِ الكلبيّ، وعلاَّن الشّعوبيّ.. وتعدَّدَتْ مناهجُ هؤلاءِ المؤلفينَ حسب أغراضهم من هذا التَّأليف، ففي حين كان بعضهم يؤلِّفُ في المثالبِ من بابِ الإحاطةِ بتراثِ العرب كان بعضُهُم الآخرُ يؤلِّفُ في المثالبِ رغبةً في النيلِ من العرب.

عَرَضَ الباحثُ ما وجدَهُ من نصوصٍ وإشاراتٍ إلى مثالبِ العرب، ونَقَدَ بعضَهَا، وَبيَّنَ مناهجَ مؤلفيها ما استطاعَ من خلالِ ما جمعَهُ من نصوص، وعُنِيَ عنايةً خاصَّةً بكتاب (المثالب) لهشام بن محمد الكلبي الَّذي وصلَ إلينا،ونَقَدَ بعضَ مروياته، وعارضَهَا بكتبِ ابنِ الكلبيِّ الأخرى.

(*) المجمع الثقافي، أبوظبي

البحث

المقدمـــة :

منذ أن بدأ تدوينُ أخبارِ العربِ وآثارهم في أواخر القرن الأول للهجرة سارع عدد من الإخباريين والنَّسَّابينَ إلى تسجيل ما للعرب من مآثرَ وأخبارٍ لم يألُ من سبقهم جهداً في حفظها ،تدفعهم إلى ذلك عواملُ عديدةٌ منها الشَّغفُ بهذا التراث والخوفُ عليه من الضَّياع بعد هلاك العديد من الرواة، فَصَنَّفُوا الكثير من الآثار التي ذهب معظمها ودَرَس، وأَتَتْ عليه يدُ الحادثات، وصَنَّفَ هؤلاءكتبهم تدعيماً للعرب واعتزازاً بالانتماء إليهم، وكان منهم الشَّرقيُّ بنُ القطامي، وأبو اليقظان والمدائني وغيرهم.

وَصَنَّفَ آخرون كتباً عن العرب وأخبارهم وقلوبُهم تغلي حقداً وكرهاً لما هو عربيٌّ، وذهبوا في ذلك مذاهب شَتَّى، وكانت الشعوبية وراء ذلك، فسلكوا مختلف الطُّرق والسُّبل للطَّعن على العرب، واصطنعوا شتى الوسائل للحطِّ من شأنهم في الجاهليَّةِ والإسلامِ، فقد نقضوا كلَّ خصائصهم ومساعيهم ومحاسنهم في الجاهلية نقضاً[١]، وتناسوا ما للعرب من مكارمَ وأخلاقٍ، وأظهروا ما خَفِيَ من هناتهم وفضائحهم، وكثرت مؤلفاتهم في ذلك تحت ما يسمى«بالمثالب».

والعلمُ بالمثالبِ قديمٌ قِدَمَ العربِ، وكانت تُعَدُّ جزءاً لا ينفصلُ عن الأنساب[٢] وكان كثيرٌ من الجاهليينَ والإسلاميين ذوي حفظ لها كعقيل بن أبي طالب الذي كان من حُكَّام المنافرات في قريش، وكان أكثر هؤلاءالحكام ذكراً لمثالب الناس[٣]، وكان يَعُدُّ مساوىء المتخاصمين إليه، فَأَيُّهُمَا كانَ أكثرَ مساوئَ أَخَّرَهُ[٤].

١- الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول ١٥٨.

٢- تاريخ التراث العربي ١٦/٢/١.

٣- البيان والتبيين ٣٢٤/٢.

٤- المنمق في أخبار قريش ٣٨٦.

وكان أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عالماً بالأنساب والمثالب، وقد لَقَّنَ حسانَ بن ثابت بعض ما يحفظُ من مثالبِ قريشٍ، عندما طَلَبَ منه الرسولُ ﷺ ذلك[١].

والعربُ أكثرُ الأمم مآثرَ ومثالبَ،لكن الشّعوبية رأت في ذلك فرصةً للنَّيل منهم والغضِّ من شأنهم، فزعموا أنَّ العربَ كان بَعْضُهُمْ ينكحُ نساء بعضٍ في غاراتهم بلا عَقْدِ نكاحٍ، فاختلطت أنسابهم وأصولهم، وتداخلت دماؤهم وأشخاصهم[٢]، وعَيَّروهم بخبيثِ مطعمهم كالحيَّات والدقيق المخلوطِ بالشّعر والدم الجامد المشوي، وعِيْبَتْ بعضُ القبائلِ بأطعمةٍ بعينها كالخزيرة في مجاشع بن دارم، والسّخينة في قريش، والتمر في عبدالقيس[٣]، وعابوا عليهم حضورَ بديهتهم وفصاحةَ خطبهم وبلاغتهم، وما كانوا يستعينون به في أثناء الخطابة من الاتكاء على أطراف القسي والعصي، أو الإشارة بالقضبان والعصا[٤]، كما عُيِّروا بأنَّ منهم من هجا نفسه، ومنهم من هجا ضيفه[٥]، وسخروا من آلاتهم في الحرب وخططهم في القتال، ووصفوهم بالتَّأَخُّرِ والانحطاطِ في العلم والصِّناعة والإدارة والسِّياسة[٦].

وذهبوا الى أنَّ العربَ ليسوا أفضلَ من غيرِهِمْ من الأمم، بل إنَّ سائرَ الأممِ تَفْضُلُهُمْ، مثل أمم الروم والهند والصِّين[٧].

ولاشكَّ أنَّ وقوفَ الشُّعوبيَّةِ خلفَ التَّأليفِ في المثالبِ يجعلُهُ حافلاً بما ورد من أخبار عن العرب سواء صَحَّتْ هذه الأخبارُ أم لا، ولا شَكَّ أنَّ استقصاءَ هذه الأخبارِ والتَّثَبُّتَ من صحَّتها لا يمكنُ أن يكونَ لهما مكانٌ خصوصاً وأنَّها تصدرُ عن نفوسٍ حاقدةٍ أعماها الحقدُ عن رؤيةِ الحقيقةِ، ولاسيما أنها تَضُمُّ علماءَ بارزينَ في بابهم كالهيثم بن عدي وأبي عبيدة.

كانت المثالبُ تُرْوَى من فم إلى آخر، ومن سمع إلى أسماع في عصري الجاهليَّةِ وصدرِ الإسلامِ، فلمَّا جاء العصرُ الأمويُّ بدأ التَّأليفُ في مثالب العرب يأخذُ مكانه، وبدأمعه

١-الأغاني ٣/١٣٩.

٢- ينظر:العقد الفريد ٣/٣٠٥،٣٠٦.

٣- البخلاء ٢١٦/٢١٧.

٤- البيان والتبيين ٣/٦.

٥- فضل العرب والتنبيه على علومها ٥٩،٦٩.

٦- الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول ١٥٩.

٧- الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما ٢٠٣.

الشّعوبيون يُظْهِرون ما عَنَّ لهم من حقد على العرب وتحقيرهم، وتوالت بعد ذلك الكتبُ حتى بلغت الذّروة في العصر العباسيِّ، ثمَّ اختفت هذه الحركةُ بعد ذلك حتى انقطعت تماماً بعد نهايةِ القرنِ الثَّالثِ الهجريِّ.

وليست بدايات التَّأليفِ في المثالب مجهولةً لدى الباحثين، بل حَرَصَ السَّابقون على معرفتها يحدوهم في ذلك الحذرُ مِمَّا تعنيه هذه المثالب، وما يمكن أن تسببه من طعنٍ في أنساب الأشرافِ والنيل من أهل البيوتات من بني هاشم خاصة، قال صاحب الأغاني: أصل المثالب زياد (بن أبيه)، فإنه لما ادَّعى إلى أبي سفيان، وعلم أنَّ العربَ لا تُقِرُّ له بذلك مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره فيهم عمل كتاب المثالب، فألصق بالعرب كلّها كلَّ عيبٍ وعارٍ وحقٍّ وباطلٍ، ثمَّ بنى على ذلك الهيثم بن عَديٍّ -وكان دَعِيًّا -فأرادَ أنْ يَعُرَّ أهلَ البيوتاتِ تَشَفِّيًا منهم، وفعل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى، وكان أصله يهوديًّا أسلم جده على يدي بعض آل أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فانتمى إلى ولاء بني تيم، فجدَّدَ كتاب زياد وزاد فيه، ثم نشأ علان الشُّعوبي، وكان زِنْدِيقاً ثَنوياً لا يُشَكُّ فيه، عُرف في حياته بعضُ مذهبِه، وكان يُورِّي عنه في عوراته للإسلام بالتشعب والعصبية، خارجاً عن الإسلام بأفاعليه، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين[1].

ومما سبق نرى أنَّ كتاب زياد كان أصلاً ونموذجاً يُحْتَذى لمن جاء بعده من مؤلِّفي المثالب، وعلى كتابه بنى عالمان كبيران هما الهيثم بن عدي وأبو عبيدة كتابيهما، ثم جاء علان الشعوبي فكان جامعاً لما أتى به سابقوه ومستدركاً عليهم الكثير.

ويطالعنا التُّراث بمؤلفين للمثالب كُتِبَ لبعضهم الشُّهرةُ والذُّيوعُ، ولم يُكْتَبْ ذلك للبعض الآخر، بل إنَّ معظم كتب المثالب أتت عليها يدُ الحادثاتِ، ولم تُكْتب لها الحياةُ عدا كتاب (المثالب) لهشام بن محمد الكلبي.

زياد بن أبيه:

يُعَدُّ زياد بن أبيه أَوَّلَ مؤلِّفٍ في مثالب العرب، وسبب ذلك أنه لما ادَّعى إلى أبي سفيان، وعلم أنَّ العربَ لا تُقِرُّ له بذلك مع علمها بنسبه وسوء آثاره فيهم عمل كتاب المثالب، فألصق بالعرب كُلِّها كلَّ عيبٍ وعارٍ، وحقٍّ وباطلٍ[2]، ثم دفع كتابه إلى أولاده وقال لهم: اسْتَظْهِرُوا

١- الأغاني ٢٠/٧٧.

٢- نفسه ٢٠/٧٧.

به على العربِ فإنَّهُمْ يَكُفُّونَ عنكم[1]، وفي رواية أنه قال: من عَيَّركم فَقَرِّعوه بمنقصته، ومن نَدَّدَ عليكم فَابْدهُوهُ بمثلبته، فإنَّ الشَّرَّ بالشر يُتَّقَى، والحديدَ بالحديدِ يُفْلَحُ[2].

ولم تَصِلْ إلينا نصوصٌ من كتب المثالب لزياد بن أبيه، وأغلبُ الظَّنِّ أنَّهُ لم يقع حتى بين أيدي العلماءالمتأخرين، وإن كان من أتى بعده قد بنى على كتابه كالهيثم بن عدي وأبي عبيدة، ويرى الباحث أنَّ مادة كتاب زياد مشابهةٌ لما في الكتب التالية له، من ذكرٍ لمثالبِ قريش وصناعاتها ومناكح الأَشراف، ومثالب العرب وديانَاتها، وما اتُّصِفَ به من دني الأخلاقِ عند رعاعها، وما أُثِرَ عن أهلِ البيوتاتِ من هنات، قال صاحب الأغاني:دخل بعض الناس على عبدالملك بن مروان، فقال له:هل عندك كتاب زياد في المثالب ؟ فَتَلَكَّأَ، فقال له: لا بأس عليك، وبحقِّي إلا جئتني به، فمضى فجاء به، فقال له: اقرأه عليَّ، فقرأه، وجعل عبدالملك يَتَغَيَّظُ ويعجبُ مما فيه من الأباطيل، ثم تَمَثَّلَ قولَ الشَّاعر:

وَأَجْـرَأُ مَـنْ رأيْـتُ بِـظَـهْـرِ غَـيْـبٍ عَـلَـى عَـيْـبِ الـرِّجَـالِ أُولُـو الـعُـيُـوبِ

ثمَّ أَمَرَ بالكتابِ فَأُحْرِقَ[3]

النَّضر بن شميل وخالد بن سلمة :

ولهما كتاب لم تصل إلينا منه نصوص تمكننا من معرفة منهجه وتبويبه، وإن كان عنوانه «الواحدة في المناقب والمثالب» يَدُلُّ على قسمين للمناقب والمثالب، قال أبو عبيدة البكري:وأمَّا كتابُ المثالبِ والمناقبِ الذي بأيدي النَّاسِ اليومَ وهو كتاب الواحدة المعلوم، فإنما هو للنضربن شميل الحميري وخالد بن سلمة المخزومي، وكانا أنسبَ أهلِ زمانهما، أمرهما هشام بن عبدالملك أنْ يُبَيِّنَا مثالبَ العربِ ومناقبَهَا، وقال لهما ولمن ضمَّ إليهما: دعوا قريشًا بما لها وما عليها. فليس لقريش في الكتاب ذكر[4].

وَنَتَبَيَّنُ من ذلك أنَّ الكتابَ أَلَّفَهُ عالمانِ يساعدُهما في ذلك جماعةٌ، وأنه كان بتكليف من الخليفة الذي أراد حِفْظَ بعضِ أخبارِ العربِ من الضَّياع- كما يستدلُّ من النص- وإلا فلا

١- الفهرست ١٧٩.

٢- فضل العرب والتنبيه على علومها ٣٧.

٣-الأغاني ٢٠/٧٧.

٤- سمط اللآلي ٨٠٨.

مصلحةَ لخليفة كهشام في النيل من العرب، ونزداد ثقة في ذلك عندما أمر بإخراج قريش من الكتاب، لأنَّها أكثرُ قبائلِ العربِ عُرْضةً للطَّعْنِ والثَّلْبِ، فَخَشِيَ أن تكونَ تلك فرصةً لذوي الهوى من الشّعوبية.

غير أنَّ النضر بن شميل الحميري هذا - كما يبدو- غير النظر بن شميل المازنيِّ اللغويِّ، المتوفى سنة ٢٠٣هـ[١]، ومن غير المعقول أن يدرك النضر هشاماً، أَمَّا خالد بن سلمة فهو أمويٌّ أدرك أواخرَ الخلافةِ الأمويَّةِ.

نَصْر بنُ مَزْروع الكلبيّ:

وهو أحد المؤلفين الذين لم يَصِلْ إلينا شيءٌ من كتبهم في المثالبِ، ولم يرد ذكره إلا عند أبي الفرج في نسب المهالبة، قال: «وذكر غيرهم أنَّ أصلَهم من عجم عُمَان،وأنهم تولوا الأزد، فلما سارَ المهلب وشَرُفَ وعلا ذكره اسْتَلْحَقُوهُ، وممن ذَكَرَ ذلك الهيثمُ بنُ عديٍّ وأبو عُبيدةَ وابنُ مزروعٍ وابنُ الكلبيِّ، وسائر من جمع كتاباً في المثالب»[٢].

الهيثمُ بن عَدي:

الهيثم بن عدي الطَّائي، أحدُ العلماءِ بأخبار الجاهليَّةِ وأمورِ العربِ، وأحدُ مؤلِّفي المثالب، وكان دعيًّا يتعرَّضُ لمعرفةِ أصولِ النَّاس، ونقل أخبارهم، فأورد معايبهم وأظهرها وكانت مستورةً، فكُرِهَ لذلك[٣].

وللهيثم كتبٌ عِدَّةٌ في المثالب، وهي المثالب[٤]، والمثالب الكبير،والمثالب الصغير، ومثالب ربيعة[٥]، وكتاب عن بني الحارث بن كعب ربما كانَ في مثالبهم كما يُفْهَمُ من قولِ الجاحظ:«وقد هُجِيَت الحارثُ بنُ كعب، وكَتَبَ الهيثمُ بنُ عدي فيهم كتاباً فما ضَعْضَعَ ذلك منهم، حتى كَأَنْ قد كتَبَهُ لهم»[٦]

والنُّصوصُ المتبقيةُ من كتاب المثالب للهيثم تتوافقُ مع نصوص كتاب (المثالب) لابن

١- طبقات النحويين واللغويين ٥٥.

٢- الأغاني ٧٥/٢٠

٣- الأغاني ٧٧/٢٠، ووفيات الأعيان ١٠٦/٦.

٤- وفيات الأعيان ١٠٦/٦

٥- الفهرست ١٩٨، ومعجم الأدباء ٣١٠،٣٠٩/١٩.

٦- البيان والتبيين ٣٩/٤.

الكلبيِّ، مما يدلُّ على أنَّ الكتابَ مُرَتَّبٌ على الأبواب مثل باب السَّرقة، والأَدعياء،وما شابه ذلك، بل إنَّ بعض أبواب كتاب المثالب لابن الكلبي منقولة عن الهيثم - كما سنرى، قال صاحب الأغاني: «وزعم ابن الكلبي أنَّ سَامَةَ بنَ لُؤي ولد غالب بن سامة، وأمه نَاجِية بنت جَرْم بن ربان ثم ادعوا أَنَّهم بنو سامة بن لؤي، وأنَّ أمهم ناجية هذه، ونسبوها هذا النسب، وانتموا إلى الحارث بن سامة، وهم الذين باعهم عليّ بن أبي طالب إلى مَصْقَلَة بن هُبَيْرَةَ، قال:ودليلُ ذلك وأنَّ هؤلاء بنو ناجية قولُ علقمة الخصي التيمي أحد بني ربيعة بن مالك:

زَعَمْتُمْ أَنَّ نَاجِيَ بِنْتَ جَرْمٍ ... عَجُوزٌ بَعْدَمَا بَلِيَ السَّنَامُ

فَإِنْ كَانَتْ كَذَاكَ فَأَلْبِسُوهَا ... فَإِنَّ الحَلْيَ لِلأُنْثَى تَمَامُ[1]»

ونقل الوزير المغربي قصة سَامَة بن لؤي والادعاء إليه بتفصيل أكبر عن الهيثم[2]، مِمَّا يُرَجِّحُ أنَّها من كتابه في المثالب لوجودها عند ابن الكلبي بالتفصيل نفسه.

وقال ابن حجر في ترجمة حبيش بن يعلى بن أمية: «ذكره ابن الكلبي والهيثم بن عدي في المثالب فقال ابن الكلبي في باب السرقة:كانت أُمُّ عمرو بن سفيان عند عبدالأسد المخزومي، فَخَرَجتْ تَحْتَ اللَّيلِ، فوقعتْ بركبٍ جانبَ المدينةِ، فَأَخَذَتْ عَيْبَةً لهم -فذكر القصة في قطعها، فقال ابن يعلى بن أمية - حليف بني نوفل وهو من بني حنظلة ثم من تميم - في ذلك:

بَاتَتْ تُجَرِّعُنَا تميمٌ كَفَّهَا ... حَتَّى أَقَرَّتْ غَيْرَ ذاتِ بَنَانِ

فَادْنُوا عَبِيداً وَاقْتَدُوا بِأَبِيكُمُ ... وَدَعُوا التَّبَخْتُرَ يَا بَنِي سُفْيَانِ[3]

ومثل ذلك في (المثالب) لابن الكلبي عن الهيثم بن عدي، في باب «أَدعياء الجاهليَّة» الذي ورد برواية الهيثم، ومنه:«ومن أدعياءِ الجاهليةِ أبو عمرو بن أمية بن عبد شمس»[4] وقد نقله أبو الفرج عن كتاب المثالب للهيثم بتفصيل أكثر:«إنَّ أبا عمرو بن أمية كانَ عبداً لأمية اسمه ذكوان فاستلحقه، وذكر أنَّ دغفلاً النَّسَّابَةَ دخلَ على معاويةَ فقال له: من رأيت من

١- الأغاني ١٠/٢٠٤،٢٠٥.

٢-الإيناس في علم الأنساب ١٧٨.

٣-الإصابة ١/٣٠٩.

٤- المثالب ٨٨.

علية قريش ؟ فقال: رأيتُ عبدالمطلب بن هاشم وأمية بن عبدشمس، فقال: صفهما لي، فقال: كان عبدالمطلب أبيضَ مديدَ القامةِ حسنَ الوجهِ في جبينه نور النبوة وعزُّ الملك، يطيف به عشرة من بنيه كأنَّهم أُسْدُ غابٍ، قال: فَصِفْ أميَّةَ، قال: رأيته قصيراً نحيفَ الجسمِ ضريراً يقوده عبده ذكوان، فقالَ: مَهْ، ذلك ابنه أبو عمرو، فقال: هذا قلتموه بَعْدُ وأحدثتموه، وأمَّا الذي عرفتُ فهو الذي أخبرتُكَ به»[1].

ومن ذلك باب «من كان قيناً في الجاهلية من قريش وأسد وتميم وسليم وخزاعة». قال: كانت بنو عمرو بن أسد بن خزيمة قيوناً، كان منهم شريح الأَوَّل، وشريح الآخر اللذان ضربا السّيوف الشريحيَّةَ، وشريح الذي يقول:

وَلا أشـــري بـــنـــي أَسَـــدٍ بِـــحَـــيٍّ ... وَلاَ يَـــشْـــرُونَـــنِـــي أَبَـــداً بِـــقَـــينِ

أَحُـــدُّ حَـــدِيـــدَهُـــمْ وَأَصُـــونُ عَـــنْـــهُـــمْ ... صُـــدُودَ الخَيْـــلِ إِمـــا أن جَـــزَوْنِـــي[2]

ومن هذه الأبواب التي وردت في مثالب ابن الكلبي عن الهيثم «باب من دفع الإسلام ثم أَقَرَّ به»[3] و«باب من ولد على فراش أبيه في الجاهلية ويقال هو لغير أبيه»[4]، وباب «الشّدادين من الأشراف، وهم الزناة»[5] و«باب فيمن كانت المجوسية واليهودية والنصرانية والزندقة»[6].

وفي كتابه أيضا حطٌّ من أهلِ البيوت وتَشَفٍّ منهم،إذ نراه ينسبُ آل المهلبِ إلى أهل فارس[7]، وذكر عن عبدالله بن عياش الهمداني:وَفَدَ ابنُ الجُلُنْدَى في الأزْدِ، وأزد عمان ومواليهم، وأحلافهم، فكان فيمن وفد منهم أبوصُفْرة، وكان يُلَقَّبُ بذلك لأَنَّهُ كان يُصَفِّرُ لحيته، فدخل على عمر مع ابن الجُلندى ولحيتُهُ مخضوبةٌ مُصَفَّرة، فقالَ عُمَرُ لابن الجلندى: أَكُلُّ مَنْ مَعَكَ عربيٌّ؟ قال: لا، فينا العربي، وفينا غير ذلك، فالتفت عمر- رحمه الله- إلى أبي صُفْرة فقال له: أعربيٌّ أنتَ؟ قال: لا، أنا مِمَّنْ مَنَّ اللَّهُ عليهم بالإسلامِ[8].

١-الأغاني ١٢/١.

٢-المثالب ٨٦،٨٧ ولعل الصواب في صدر البيت الأول"بحر"بدلاً من: "بحي"

٣-المثالب ٩٢،٩٣.

٤- نفسه ٩٢.

٥- نفسه ١٢٤،١٢٥.

٦- نفسه ١٢٣،١٢٤.

٧-الأغاني ٧٥/٢٠.

٨- نفسه ٧٦/٢٠.

وقال أيضاً:قَدِمَ الحكمُ بن أبي العاصي الثقفي أخو عثمان بأعلاجٍ من شهرك في خلافة عمر قد أسلموا، فأمر عُمَرُ عثمانَ بنَ أبي العاصي أن يَخْتِنَهُمْ، وقد كانَ أبو صفرةَ حاضراً فقال: ما لهؤلاء يُطَهِّرون ليصلوا! فقال: يختنون، قال: إنَّا والله هكذا مثلهم، فسمع ذلك عثمان بن أبي العاصي فأمر بأبي صفرة فَأُجْلِسَ على جَفْنَةٍ فَخُتِنَ، وإنه لشيخٌ أَشْمَطُ، فكان بها من قال:لسنا نشك في أنَّ زوجته كذلك، فَأُحْضِرَتْ وهي عجوزٌ أدماء فأمر القابلةَ فَخَفَضَتْهَا"[1].

ومن ثَّم نستدلُّ على تقارب كتابي المثالب للهيثم لابن الكلبي فيما وصل إلينا من نصوص، وأنه مرتَّبٌ على الأبواب مثله مع الاحتجاج بالشعر إن وجد، بل إنه مبنيٌّ على كتاب زياد بن أبيه[2] وذلك مدعاة لتأكيد غرض الهيثم بن عدي من تأليف الكتاب، وهو الحطُّ من العربِ وإنقاصُ شأنهم، وسواء أكان الهيثم عربيًّا حقاً أم دعيًّا من أدعيائهم فالذي فيه أَنَّهُ كانَ يكرهُ العربَ، وكثيراً ما كانَ يُشَهِّرُ بهم وبعاداتهم وتقاليدهم في مأكلهم ومشربهم[3].

أحمد بن محمد الجهميّ:

وكان أديباً راويةً شاعراً متقناً عالماً بالنسب والمثالب[4]، وله من الكتب كتابُ المثالب،وكتاب الانتصار في الرَّدِّ على الشعوبية[5] ولم يعثر الباحثُ على نصوصٍ من هذين الكتابين، وربما كان تأليفه في المثالب من قبيل الإحاطة بتراث العرب وأخبارهم، لاعن هوًى وسوءِ نيَّة، إذ إنه رَدَّ على الشعوبية في كتابه الآخر، كما أنَّ جَدَّهُ أبا الجهم العدوي كان أحدَ حُكَّامِ قريشٍ في المنافراتِ،وأحدَ علماءِ العربِ بالأنسابِ والمثالبِ[6].

أبو عُبَيدةَ:

يُعَدُّ أبو عبيدةَ معمر بن المثنى من كبار علماء العربية وكان شعوبيًّا[7] يبغضُ العربَ[8]

١-نفسه ٢٠/٧٦.

٢- نفسه ٢٠/٧٧.

٣- مقالات في أثر الشعوبية في الأدب العربي وتاريخه ٥٧.

٤-معجم الأدباء ٤٠/١٣١.

٥- الفهرست ٣٢٠.

٦- المنمق في أخبار قريش ٣٨٦.

٧- طبقات المفسرين ٢/٣٢٧.

٨- المعارف ٥٤٣.

وكان أغرى النَّاسِ بمشاتم النَّاسِ وأَلْهَجَهُمْ بمثالبِ العربِ[١]، والطَّعْن في أنسابهم[٢]، ولما مات لم يحضر جنازته أحد لأَنَّهُ لم يَسْلَمْ من لسانه أحدٌ لا شريفٌ ولا غيره[٣]، وله عدة كتب في المثالب هي: مثالب العرب[٤] أو المثالب[٥]، وهو كتاب ذكر فيه العرب وفسادها ورماهم بما يسيء الناس ذكرُه، ولا يحسنُ وصفه[٦] وكتاب مثالب أهل البصرة[٧]، ومثالب باهلة[٨].

وكان مولعاً بوضع الأخبار ووضع الأحاديث التي تُظْهِرُ خلافَ القبائل العربية فيما بينها وتهاجيها وتشاتمها بقبيح الكلام ومقذع الهجاء[٩]، وكان هَمُّهُ الأكبرُ إرجاعَ مآثِر العربِ وحضارتهم إلى عناصرَ أجنبيَّةٍ، فلم يترك شعراً ولا نثراً ولا شيئاً مما تفخر به العرب إلا نَسَبَهُ إلى الأعاجم، حتى القصص الخرافية يتناقلُها العربُ وَجَدَ لها نظائرها في أساطير الأدبِ الفارسيِّ،ولم تَسْلَمْ أخلاقُ العربِ اليوميَّةُ وسلوكُهُمُ العاديُّ من هذه المحاولة[١٠] وقد كان جَدُّهُ يهوديًّا أسلم على يد آل أبي بكر الصِّدِّيق، فانتمى إلى ولاء بني تيم، فَجَدَّدَ كتاب زياد بن أبيه في المثالب وزاد فيه[١١].

ومما أُخِذَ عليه - كما ذكر ابن قتيبة - أَنَّهُ كانَ يجعلُ السَّيِّئَةَ حسنَةً والمنقبةَ مثلبةً، ويُخْرِجُ الباطلَ في صورةِ الحقِّ، فيقصدُ إلى المناقب مثل قوس حاجب، وتهادي المحبين من العرب أعواد السواك بينهم فكانَ يضحكُ منها ويُزْرِي بها، ويذهبُ بذلك إلى خساسة العود وقلَّةِ ثمنه، كما سَخِرَ من رداءِ الفرزدقِ الذي رهن به وفاء بني تميم لسليمان بن عبدالملك أيام فتنة قتيبة بن مسلم الباهلي، ويستهزئُ ببُرودِ العربِ التي افتخروا بها في الجاهليَّةِ ومن لقب بذي البردين وأفراسهم وخيولهم، ويعارض ذلك بملوك فارس

١- فضل العرب والتنبيه على علومها ٣٧.

٢- أخبار النحويين البصريين ٨١.

٣- معجم الأدباء ١٩/١٦٠.

٤- نفسه ١٩/١٦٢، وإشارة التعيين ٣٥٠.

٥-الفهرست ١٠٩، ووفيات الأعيان ٥/٢٣٩.

٦- مروج الذهب ٤/٣٦.

٧- إشارة التعيين ٣٥٠، ووفيات الأعيان ٥/٣٩٧.

٨- كشف الظنون ٢/١٥٨٦.

٩-مقالات في أثر الشعوبية ٤٨.

١٠- الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي ١٢٥.

١١-الأغاني ٢٠/٧٧، وأخبار النحويين البصريين ٨١.

وأَسِرَّتِهَا وتيجانها، وأنَّ أبرويز ارتبط خمسينَ فيلاً على مرابطه، وبلغت مخدته التي كان يشرفُ بها الداخل ألف إناء من الذَّهب وخدمته ألف جارية[١].

ويرى الباحثُ أنَّ كتابَ أبي عبيدة في المثالب ربما كانَ مُقَسَّماً على الأبواب ككتاب ابن الكلبي، فقد ذكروا عن ابن الكلبي وأبي عبيدة أنَّ مُفَرِّغاً والد يزيد بن مُفَرِّغ الحميريّ الشاعر كان شَعَّاباً بِتَبالة[٢]، ومن قول أبي عبيدة في كتاب المثالب:ولد هاشم بن عبد منافس صيفيًّا وأبا صيفي واسمه عمرو أو قيسٌ،أُمُّهُمَا حية، وهي سوداء كانت لمالك أو عمرو بن سلول، أخي أبيٍّ بن سلول، والد عبدالله بن سلول المنافق اشتريت من سوق حباشة،وهي سوق لقينقاع، وأخوهما لأمهما مخرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي[٣] وهذا الخبر قد ورد برواية مختصرة عند ابن الكلبي في باب «أبناء اليهوديات من قريش»[٤].

ومن ذلك قوله عن الحكم بن عوانه الكلبي إنَّ أباه كانَ عبداً خَيَّاطاً ادُّعيَ بعدما احتلم، وكانت أمه سوداء لآل أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي وله إخوةٌ موالٍ، وقال في ذلك ذو الرُّمة:

أَلِكْنِي فَإِنِّي مُرْسِلٌ بِرِسَالَةٍ ... إلى حَكَمٍ مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ وَلاَ قُرْبِ

فَلَو كُنْتَ مِنْ كَلْبٍ جميعاً هَجَوتُهَا ... وَلَكِنْ لَعَمْرِي لا إِخَالُكَ مِنْ كَلْبِ

وَلَكِنَّنِي أخْبِرْتُ أَنَّكَ مُلْصَقٌ ... كَمَا أُلْصِقَتْ مِنْ غَيرِهِ ثُلْمَةُ القَعْبِ[٥] *

وهذا الخبر نفسه عند ابن الكلبي في «باب الأَدعياء من قريش»[٦]

وهناك نصوصٌ غُفْلٌ من أبوابها أو مناسباتها لكنها وردت في مثالب أبي عبيدة،

١-فضل العرب والتنبيه على علومها ٣٨، ٤٠، ٤١.

٢- وفيات الأعيان ٣٤٣/٦، وليس لمفرغ هذا ذكر فيمن ذكرهم ابن الكلبي من الشعابين في المثالب ١٣، والشعاب هو الذي يصلح الصدوع في الجدران.

٣- معجم البلدان ٢١١/٢.

٤- المثالب ٧٢، والمنمق ٤٠٢.

٥-نكت الهميان ٢٢٢، ٢٢٣، ومعجم الأدباء ١٣٥/١٦.

* ورواية الأبيات في ديوان ذي الرُّمة:

أَلِكْني فإنّـي مُرْسِـلٌ برسـالةٍ ... إلى حكمٍ مِنْ غير حُـبٍّ ولا قـربِ

فلو كنتَ من كلب صميماً هجوتُها ... جميعاً ولكنْ لا إخـالُكَ من كلـبِ

ولكننـي خُبِّـرْتَ أنَّـكَ مُلصَـقٌ ... كما أُلْصِقَتْ من غيرِها ثُلْمَةُ القَعْبِ

ديوانه ١٧٧٢/٣-١٧٧٤ بتحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح (هيئة التحرير).

٦- المثالب ٧٢، والمنمق ٤٠٢.

كقولهم عن الأخطل بن الصلت: «ذكره أبو عبيدة في كتاب المثالب»[١] ومن ذلك قول الشاعر:

يَصُورُ عُنُوقَها أحْوَى زَنِيمٌ لَهُ ظَأبٌ كَمَا صَخِبَ الغَرِيمُ

هذا البيت لجمَال بن سلمة العبدي،كذا ذكره أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب المثالب[٢]، ومنه قول موسى شهوات يهجو عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر:

فَإنَّكْ لَمْ تُشْبِهْ يَدَاكَ ابنَ مَعْمَرٍ وَلَكِنَّمَا أشْبَهْتَ عَمَّكَ مَعْبَدا

وكان معبدٌ مولى، وكان أخ أبيه لأمه، وله حديث ذكره أبو عبيدة في كتاب المثالب[٣]. وتدل هذه النُّصوصُ على أنه شارك العديد من مؤلفي المثالب في بعض الموضوعات التي طرقوها كاشتراكهم في إرجاع نسب المهالبة إلى عجم عمان[٤]، قال: كان أبو صفرة والد المهلب فارسيًّا من أهل خارك، فقطع إلى عمان، وكان يقال في بسخرة، فعرِّب فقيل له:أبو صفرة وكانَ بها حائكاً،ثم قَدِمَ البصرةَ فكان بها سائساً لعثمان بن أبي العاصي الثقفي، فلما هاجرت الأزدُ إلى البصرة كانَ معهم في الحروبِ، فوجدوه نَجِداً في الحروب فاستلاطوه، وكان ممن استلاطت العرب كذلك كثير[٥]. وهناك نصوص أخرى مشابهة عن كرز بن عامر جدّ خالد بن عبدالله القسري وغيرهم وكيف استلاطهم العرب[٦] ممَّا يؤكِّد أنَّ هذه النصوص من«باب الأدعياء» وهي نصوص نجد لها ما يشبهها ويؤكِّدها عند مؤلِّفي المثالب غير أبي عبيدة، ومن نصوصه التي يَعُرُّ فيها أهلَ البيوتاتِ قولُهُ: كانَ آل أبي دلف قوماً من العباديين من أهل الحيرة، وكانوا جهابذةً بها، فخرج جدٌّ لهم يقال له إدريس فأثرى،فلم يحسن على إظهار دعوته بالكوفة، فابتاع داراً بالبصرة، ثم خرج إلى الجبل، فأبو دلف من ولده[٧].

١- المكاثرة عند المذاكرة ٤٠.

٢- إيضاح شواهد الإيضاح ٨١٤/٢.

٣- أمالي القالي ١٩١/٢، ١٩٢.

٤- الأغاني ٧٥/٢٠.

٥- معجم البلدان ٣٣٧/٢، وينظر الأعلاق النفيسة ٢٠٠، ٢٠٦.

٦- الأغاني ١٠/٢٢-١٢، والأعلاق النفيسة ٢٠٦، ٢٠٧.

٧- الأعلاق النفيسة ٢٠٧

ومثله قوله: كان جدّ الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن سيبخت بن ذكر علجاً من أهل فارس إسكافاً فقطع البحر من توج إلى حضر موت... قال: وكانت وردة بنت معدي كرب عَمَّةُ الأشعثِ عند رجلٍ من اليهودِ، فماتت ولم تخلف ولداً، فأتى الأشعثُ عمرَ بن الخطابِ يطلبُ ميراثَهَا، فقال عمر: لا ميراثَ لأهلِ ملَّتين[1].

أمَّا كتابه (مثالب أهل البصرة) فوصل منه نَصٌّ واحدٌ يقولُ فيه:«ضاقت المعيشةُ بالنضر بن شميل فخرج يريد خراسان، فَشَيَّعَهُ من أهلِ البصرةِ نحوُ ثلاثةِ آلافِ رجل، ما فيهم إلا مُحَدِّثٌ أو لُغَويٌّ أو نَحْويٌّ أو عَرُوضِيٌّ أو إخباريٌّ، فلما كان بالمربد جلسَ فقالَ:يا أهلَ البصرة، تَعِزُّ عليّ مفارقَتُكُمْ، واللهِ لو وجدتُ كلَّ يوم كيلجة من باقلاء ما فارقتكم، قال:فلم يكنْ فيهم أحدٌ يَتَكَفَّلُ له بذلك حتى وصلَ إلى خراسان، فأفادَ بها أموالاً عظيمةً[2].

يُونُس بن أَبي فَرْوَة:

وهذا أحدُ الشّعوبيين العباسيين الذين عايشوا حماد عجرد وصحبوه، وقد ذكروا أنه عمل كتاباً في مثالب العرب وعيوب الإسلام، وصار به إلى ملك الروم، فأخذ منه مالاً[3] ولم نعثر على نَصٍّ من هذا الكتابِ في ما بين أيدينا من مصادرَ.

عَلاَّن الشُّعوبيّ:

علان بن الحسن الشعوبي الوراق، كان راوية عارفاً بالأنساب والمنافرات والمثالب[4]، وزنديقاً ثنوياً لا يُشَكُّ فيه، عُرِفَ في حياته بعضُ مذهبه، كان يُوَرِّي عنه في عوراته للإسلام بالتشعب والعصبية،ثم انشكف أمره بعد وفاته[5]، وكان واحداً من الأدباء الفرس المأجورين الذين سَخَّرَهُمُ البرامكةُ للنيلِ من العربِ، مدفوعين إلى ذلك بحقدهم الدَّفين على هذه الأمة التي لم يكنْ لها ذنبٌ إلا أنَّها هَدَتْهُمْ للإسلامِ وحَرَّرَتْهُمْ من العبوديَّةِ[6] وله في

١- نفسه ٢٠٥

٢- طبقات النحويين واللغويين ٥٥، ومعجم الأدباء ٣٣٩/١٩، والكيلجة كيل معروف لأهل العراق.

٣- الحيوان ٤٤٨/٤، وأمالي المرتضى ١٣٢/١، وأخبار الشعراء المحدثين ١٠.

٤- الفهرست ٢٠٩.

٥- الأغاني ٧٧/٢٠.

٦- مقالات في أثر الشعوبية ٥١.

المثالب كتاب سوء[١] هو كتاب (الميدان في المثالب) الذي هَتَكَ فيه العربَ وأَظهَرَ مثالبها[٢] عمله لطاهر بن الحسين، وكان شديدَ التَّشَعُّبِ والعَصَبيَّةِ، خارجاً عن الإسلام بأفاعيله، فبدأَ كتابه بمثالب بني هاشم، وذكر مناكحهم وأمهاتهم وصنائعهم، وبدأ منهم بالطيِّبِ الطَّاهر رسولِ اللَّهِ - عليه السلام - ثُمَّ ببطونِ قريشٍ على الولاء، ثم سائرِ العربِ قبيلةً قبيلةً على الترتيب إلى آخرِ قبائلِ اليمنِ، فألصقَ بهم كلَّ كذبٍ وزورٍ، ووضعَ عليهم كلَّ خبر باطل،وأعطاه طاهر بن الحسين على ذلك مئتي ألف درهم[٣].

ولحسن الحظِّ فقد وصلَ إلينا ترتيبُ كتابه هذا وهو كما يأتي:«مثالب قريش، صناعات قريش وتجاراتها، مثالب تيم بن مرة بن كعب، مثالب بني أسد بن عبدالعزى، مثالب بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، مثالب سَامَة بن لؤي، مثالب عبدالدار بن قصي، مثالب ولد زهرة بن كلاب، مثالب بني عدي بن كعب، مثالب سعد بن لؤي، مثالب الحارث بن لؤي، مثالب خزيمة بن لؤي، مثالب عوف بن لؤي، مثالب عامر بن لؤي، مثالب أسد بن خزيمة، مثالب هذيل بن مدركة، مثالب بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، مثالب بني طابخة بن إلياس، مثالب بني ضبة بن أد، مثالب مزينة، عدي الرباب، مثالب عكل، مثالب بلعنبر بن تميم، مثالب تميم، عمرو بن تميم، أسد بن لخم، القين، مأرب، الحبط، يربوع، بنو دارم، البراجم، ربيعة الجوع، بنو سعد بن زيد مناة، مثالب قيس عيلان، مثالب غني، مثالب باهلة، مثالب بني سليم بن منصور،مثالب نُمَير، مثالب عامر بن صعصعة، مثالب فزارة، بنو مرة بن عوف غطفان، عبس بن بغيض، ثقيف، مثالب ربيعة، مثالب عجل بن لجيم، مثالب تغلب بن وائل، مثالب بني يشكر بن بكر، مثالب النمر بن قاسط، مثالب سدوس بن شيبان، مثالب عنزة بن أسد،مثالب تيم اللات بن ثعلبة، مثالب قيس بن ثعلبة، مثالب حنيفة بن لجيم،مثالب بني شيبان، مثالب عبدالقيس، مثالب إياد، مثالب اليمن،الأوس،الخزرج، قضاعة، طيئ، بنو الحارث بن كعب، النخع، خُزاعة وغسان، كندة، الأشعرون، لخم، جذام، عنس، مراد، السكاسك، القين، نهد، زبيد، بجيلة، همدان، حضرموت، حمير[٤].

١- معجم الأدباء ١٢/١٩٢.

٢- الفهرست ٢٠٩.

٣- الأغاني ٢٠/٧٧، ومعجم الأدباء ١٢/١٩١.

٤- الفهرست ٢٠٩، ٢١٠.

ومما سبق يتضحُ لنا أنَّه الكتاب الوحيد من كتب المثالب الذي رتبه صاحبه على القبائل، مختلفاً عن بقية المؤلفين الذين رتبوا كتبهم على الأبواب،ومن ثم نستبعد ما ذكره ياقوت أنَّ كتاب علان كان على ترتيب كتاب ابن الكلبي[١].

ولحسن الحظ فقد بقيت لنا نصوص من كتاب عَلاَّن، معظمها في بن مِنْقَر، وهم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، ونص في سويد بن أبي كاهل اليشكري، قال: بنو منقر قوم غُدُرٌ، يُقَالُ لهم الكَوَادِن، ويُلَقَّبُون أيضاً أَعْرَافَ البغالِ، وهم أَسْوأُ خلقِ اللّه جواراً، ويُسَمُّون الغَدْرَ كَيْسانَ، وفيهم بُخْلٌ شديدٌ، وأوصى قيس بن عاصم بنيه، فكان أكثر وصيته إيَّاهم أَنْ يَحْفَظُوا المالَ، والعربُ لا تفعلُ ذلك وتراه قبيحاً، وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النَّمرِ بن تَوْلَب:

يَـا مِـنْـقَـرُ بـنَ عُـبَـيْـدٍ إنَّ لُـؤْمَـكُـمُ ... مِـنْ عَـهْـدِ آدَمَ فِـي الـدِّيـوانِ مَـكْـتُـوبُ

لِـلضَّـيـفِ حَـقٌّ عَـلَـى مَـنْ كَـانَ ذَا كَـرَمٍ ... والضَّـيـفُ فِـي مِـنْـقَـرٍ عُـرْيَـانُ مَـسْـلُـوبُ

وقال النَّمرُ بنُ تَوْلَب يَذْكُرُ اَسْمِيَتَهُمْ كَيْسَانَ في قَصِيدة هجاهم بها:

إذَا مَـا دَعَـوا كَـيْـسـانَ كَـانَـتْ كُـهُـولُـهُـمْ ... إلى الـغَـدْرِ أَدْنَـى مِـنْ شَـبَـابِـهِـمُ المُرْدِ

قال: وهذا شائع في جميع بني سَعْد، إلاَّ أنَّهُمْ يتدافعونه إلى بني مِنْقَرٍ،وبنو منقر يتدافعونه إلى بني سِنَانِ بنِ خالد بن منقر، وهو جَدُّ قيس بن عاصم[٢] وله ثلاثة نصوص أخرى أيضاً عن قيس بن عاصم حول غدره وارتداده عن الإسلام[٣].

وله نصّ يثلبُ فيه بني يَشْكُر، ويقول عن شاعرهم سويد بن أبي كاهل: إنَّهُ «وُلِدَ في ذُبْيَان، وتزوَّجَتْ أُمُّهُ أبا كَاهل وهو غلامٌ يَفَعَةٌ، فاستلْحَقَهُ أبو كاهلٍ وادَّعَاه فَلَحِقَ بِهِ»[٤] وربما ظَنَّ قارئ أنَّ هذا النص يندرج تحت «باب الأدعياء» في كتب المثالب. فيكون الكتاب على ترتيب كتاب ابن الكلبي كما ذكر ياقوت، لكن ذلك يمكن رده لوجود التقسيم المفصل

١- معجم الأدباء ١٩١/٢.

٢-الأغاني ٨٧/١٤.

٣- نفسه ٨٩،٨٨/١٤.

٤- نفسه ١٠٤/١٣.

الذي ذكره ابن النديم، ثم إنَّ المثالب من ادعاء واستلحاق وسرقة وغير ذلك تَتَنَوَّعُ في القبيلة الواحدة، ولذلك اختلف ترتيب كتاب علان عن باقي كتب المثالب.

محمَّد بن عليّ الأَصْفَهانيّ الدِّيْمَرْتِيّ

وله كتاب (مثالب ثقيف وسائر العرب)[1]، ولم يعثر الباحث على نصوص من هذا الكتاب، ومما هو واضح أنَّ ثقيفاً نالت حَظًّا من المثالب بعد قريش لكنَّها لم تبلغْ مبلغَهَا، لذلك فُقِدَ هذا الكتابُ ولم نتمكنْ من إلقاءِ الضوء عليه.

هِشَام بن محمَّد الكلبيّ:

كان ابن الكلبي إخبارياً نَسَّابةً وراويةً للمثالب عَيَّابةً[2]، وكتابه في المثالب هو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا في هذا النوع من التأليف، على الرغم من سقوط بعض الصفحات من مخطوطة الكتاب إلا أنَّهُ كتابٌ غزيرُ المادةِ متنوِّعُ الأبواب، يحوي قسماً كبيراً من أشعار العرب التي ربما لا توجد في مصدر آخر، ويُمثِّلُ الكتابُ النموذجَ الذي سار عليه مؤلفو المثالب الكبار كأبي عبيدة والهيثم بن عدي حيث إنه مرتب على الأبواب وموضوعاته هي:

قصة بن لؤي، باب التجارات كالبزازين والعطَّارين وأصحاب الصِّناعات كالقيون والخصافين والشَّعابين والتياسين والخياطين والجزارين والخمارين والحجامين والدباغين والمرابين، باب السُّرَّق ومن قُطِعَتْ يدُهُ في السَّرقة، باب اللاطة، باب البغائين والمخنثين، باب الأدعياء، الزناة، المحدودون، نكاح المقت، ادِّعاء معاوية، تسمية ذوات الرايات وأمهاتهن وأسماء من ولدن، تسمية من أُتيَ به من سفاح الجاهلية، أولاد الزواني الذين شرفوا من العرب، البغايا، الأمهات، أبناء الحبشيات من العرب، أبناء النصرانيات الروميات من قريش والعرب، أبناء السِّنديات من قريش والعرب، أبناء النبطيات من قريش والعرب، أبناء اليهوديات من قريش، باب الحَمْقَى، قصة المتع (نكاح المتعة)، المنجبون من الحَمْقَى في قريش والعرب، حمقاء النِّساء، أسماء أشراف المعلمين وفقهائهم، باب أدعياءالجاهلية، باب من ولد على فراش أبيه في الجاهلية ويقال

١- الفهرست ٢٦٣.

٢- البيان والتبيين ١/١٣١.

هو لغير أبيه. باب أبناء الودائع الأشراف، باب فيمن كانت المجوسية واليهودية والنصرانية والزندقة، باب الشّدادين من الأشراف وهم الزناة، ومن كان يُضَعَّف من قريش.

هذه هي عناوين أبواب الكتاب الداخلية، تحت كلّ عنوان عددٌ لا بأس به من الأخبار وكمٌّ من الأسماء، والملاحظ أنَّ قريشاً فازت بنصيب الأسد من كتاب المثالب هذا، إذ يبدأ المؤلف – في الغالب – بذكر مثالب قريش ثم يذكر بعضاً من مثالب العرب في كتابه قليلة بالقياس إلى مثالب قريش، ولو أطلق على الكتاب «مثالب قريش» لكان حقيقاً به، ومن المعروف أنَّ قريشاً فازت بنصيب الأسد من التأليف في المثالب لمكانها في العرب ومكان الرَّسول – ﷺ – منها، وذلك يجعلنا ننظر إلى ابن الكلبي بعينِ الرِّيبةِ، ونحن نستغربُ ذلك، لأنَّهُ لم يردنا شيء عن شعوبية ابن الكلبي، بل كان عربيًّا صليبةً من قبيلةِ كلب[1] إلاَّ أنَّ هذا الكتاب – كما قيل – أَلَّفَهُ ابنُ الكلبي للخليفة المهدي رَدًّا على كتاب أرسله بنو أمية في الأندلس إلى الخليفة المهدي في مثالب بني العباس[2].

والذي يبدو أنَّ هذه المقولة ربما كانت صحيحة، إذ كانَ بنو أمية أكثرَ من ذكرهم ابنُ الكلبي في المثالب، إذ يضع بني أمية في مقدمة أصحاب المثالب تحت كلِّ عنوان ثم يذكر بقية قريش، هذا في معظم العناوين، بل ذهب إلى التشكيك بنسب معاوية بن أبي سفيان[3]، كما شَكَّكَ في نسب عمرو بن العاص ساعد معاوية الأيمن[4]، واتَّهَمَ أُمَّ المغيرةِ بنِ أبي جهل المخزومي برجل قبطي يسكن مكة[5]، وكان بعض بني مخزوم –وسائر بني أمية – في مقدمة أصحاب الصناعات الوضيعة كالقيون[6] والحجامين[7] والتياسين[8] وفي مقدمة أصحاب

١– نسب معد واليمن ٦٢٨.

٢–بروكلمان ٣/٣١.

٣– المثالب ٤٠، ٤١.

٤–نفسه ٤٥، ٨٨.

٥– نفسه ٤٦.

٦– نفسه ١٢.

٧– نفسه ١٨.

٨– نفسه ١٤.

الصفات الدنيئة كالسُّرقِ[١] والبغائين والمخنثين[٢]، بل ذكر أنَّ مخزوماً - جدّ بني مخزوم - جاء من سفاح[٣]. وزعم أنَّ حمامة - إحدى جَدَّات معاوية - كانت لها راية بسوق ذي المجاز[٤]، وهناك عدة من بني مخزوم في مقدمة من أُتي بهم من سفاح الجاهلية[٥].

والكتاب - بشكل عام - يُعْنَى بجانبٍ من الحياةِ الاجتماعيَّةِ في قريشٍ قبلَ الإسلامِ، وربما كانت حياة اللهو أكثرَ أنماطِ هذه الحياة بروزاً، غيرَ أنَّنا نختلف مع ابن الكلبي حولَ بعض الأخبار التي وردت في كتابه، إذ نجدها بشكل آخر عنه في مصادرَ أخرى، فهو يقولُ عن عقيلة أُمِّ صيفي وأبي صيفي ابني هاشم وأم مخرمة بن عبدالمطلب: إنَّها يهوديَّةٌ من أهل فدك وكانت لها راية بذي المجاز[٦]، ويشاطره هذا الرأي تقريباً أبو عبيدة في مثالبه[٧]، بينما يذكر في جمهرة النَّسب أنَّها هندُ بنتُ عمرو بن ثعلبة من بني عوف بن الخزرج[٨].

ويقولُ عن بني سامة بن لؤي: إنهم جاؤوا إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أو رجل منهم - فانتسب في قريش فأبى علي ذلك وأنكره، وقال: إنَّ سامة لم يولد له، وكانت عنده امرأة من جهينة فوثبَ عليها عبدٌ له أسودُ، فإن يكن للمرأة نسلٌ فمن العبدِ الأسود[٩] وقال علي أيضاً: أمَّا سامة فحقّ، وأَمَّا العقب فليس له[١٠]، وقال في نكاح المقت: كانت نَاجِيةُ بنت جَرْم بن زبان بن قضاعة عند سامة بن لؤي فولدت له عبدالبيت، وهم الذين جاؤوا إلى علي[١١] غير أنه يذكر أنَّ لسامة عقباً مع ابنه الحارث غير عبدالبيت وهم: لؤي وربيعة

١- نفسه ٢٢.

٢- نفسه ٢٦، ٢٨.

٣- نفسه ٢٨.

٤- نفسه ٤٩.

٥- نفسه ٥١.

٦- نفسه ٤٩.

٧- معجم البلدان ٢١١/١.

٨- جمهرة النسب ١٠١/١.

٩- المثالب ٥.

١٠- نفسه ١٠.

١١- نفسه ٣٨.

وعبيدة وسعد بنو الحارث بن سامة، أمهم سلمى بنت تيم من بني نهد[١]، وظاهر ما ذكره في المثالب يخالفُ هذا الخبرَ.

كما يجعلُ في زمرة المخنثين عدداً من سادة العرب وشعرائها منهم حاجب بن زرارة التميمي، وعمرو بن كلثوم التغلبي، وقابوس بن المنذر اللخمي، والأبرد الغساني، وقيس ابن الخطيم الأوسي، ويزيد بن الصّعق الكلابي وأبو جهل الحكم بن هشام المخزومي[٢]، وهؤلاء كانو سادةَ قومهم ورؤساءَ قبائلهم، ومن غير المعقول أَنْ تُولِّيَ العربُ عليها أشخاصاً يُتَلَعَّبُ بهم، وربما كان في بعضهم نوع اللين في الخلقة كقابوس بن المنذر[٣]، أو أنَّ بعضهم كان به برص في مؤخرته فهو يداويه كأبي جهل فظنَّ النَّاس به شرّاً[٤].

كما يجعلُ ابن الكلبي عامر بن الطفيل من أولاد الزنا الذين شرفوا، فأُمُّهُ كبشةُ بنتُ عروة الرّحال حملت به من عمّه عامر بن مالك ملاعب الأسنة، وتزوَّجها الطفيل بن مالك أخوه فولدت عامراً على فراشه[٥]، وهو خبر لا نعتقد بصحته، إذ لو كان عامر كذلك لما سَوَّدَهُ قومُه، ولهجته الشعراء بذلك، ولذكره ابن عمه علقمة بن علاثة في منافرته معه[٦].

ونرى أنَّ ابن الكلبي ساق أخبار المثالب دونَ نقدٍ أو تمحيص، فذكر في كتابه الرواياتِ الضعيفةَ مع الرواياتِ الصَّحيحةِ في سبيلِ إثراءِ مادَّةِ الكتابِ، ولو مَحَّصنا الكتابَ ونخلناه لما زادتْ مَادَّتُهُ على نصفِ المادة الموجودة، غَيرَ أنَّهُ لا يمكن إغفالُ أهميَّةِ الكتابِ التَّاريخيَّةِ والأدبيَّة، فهو الكتابُ الوحيدُ الذي وصل إلينا في هذا النَّوعِ من التَّأليفِ الإخباري، كما أنه مصدرٌ مهمٌ لدراسةِ البيئةِ العربية قبلَ الإسلامِ خصوصاً بيئة مكة، إضافة إلى ذلك فقد حوى أشعاراً ربما لا توجد في مصادرَ أخرى لشعراءَ من قريشٍ كأبي سفيان[١] وعثمان ابن الحويرث[٢] وغيرهم.

١- جمهرة النسب ١/٤٠٧.

٢- المثالب ٣٠.

٣- نقائض جرير والفرزدق ٢٧٨.

٤- سوائر الأمثال على أفعل ١٦١.

٥-المثالب ٥٥.

٦- الأغاني ١٦/٢٨٣.

٧- المثالب ١٨، ٤٨، ٥٠.

٨- نفسه ١٥، ٢٩، ٤٦، ٦٥.

المصادر والمراجع

١-أخبار الشعراء المحدثين: أبو بكر الصولي،تحقيق:هيوارث دن، دارالمسيرة، بيروت.

٢- أخبار النَّحْويينَ البصريين: أبو سعيد السِّيرافي، تحقيق:د.محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة.

٣- إشارة التعيين إلى تراجم النحويين:عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني، تحقيق:د. عبدالمجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة: الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.

٥-الأعلاق النفيسة:أحمد بن عمر بن رسته، المجلَّد السَّابع، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١م.

٦- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٧- الأمالي: أبوعلي القالي، دار الكتاب العربي - بيروت.

٨- الأمالي: الشَّريف المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت.

٩- إيضاح شواهد الإيضاح: أبوالحسن بن عبدالله القيسي، تحقيق:محمد بن حمود الدعجاني، ط١، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٧.

١٠- الإيناس في علم الأنساب: الوزير المغربي، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة للترجمة والنشر، الرِّياض.

١١- البخلاء: أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: د. طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة.

١٢- البيان والتبيين: أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة.

١٣-تاريخ الأدب العربي:كارل بروكلمان، ترجمة: د عبدالحليم النجار، دار المعارف، القاهرة.

١٤- تاريخ التراث العربي: د. فؤاد سزكين، ترجمة: محمود حجازي ورفاقه، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

١٥- جمهرة النسب: هشام بن محمد الكلبي، تحقيق: عبدالستار فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

١٦- الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت.

١٧- الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول: د.حسين عطوان، دار الجيل، بيروت.

١٨-الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام عليهما: سميرة مختار الليثي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

١٩- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي: أبوعبيد البكري، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، دار الحديث، بيروت.

٢٠- سوائر الأمثال على أفعل: حمزة الأصفهاني، تحقيق:د. فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت.

٢١- الشّعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول: زاهية قدورة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٢٢- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.

٢٣- طبقات المفسرين: شمس الدين الداوودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة.

٢٤- طبقات النحويين واللغويين: أبوبكر الزبيدي، تحقيق:محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

٢٥- العقد الفريد: ابن عبدربه الأندلسي، تحقيق: أحمد أمين ورفاقه، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٦- فضل العرب والتنبيه على علومها: عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: د. وليد خالص، المجمع الثقافي، أبوظبي.

٢٧- الفهرست: محمد بن إسحاق النديم، تحقيق: نهى عارف الحسن، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة.

٢٨- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد.

٢٩- المحبر: محمد بن حبيب البغدادي، تحقيق: ايلزه ليشتن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٣٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسن المسعودي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت.

٣١- المعارف: عبدالله بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.

٣٢- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تحقيق:د. أحمد فريد رفاعي، القاهرة ١٩٣٦.

٣٣- معجمم البلدان: ياقوت الحوي، دار الفكر، بيروت.

٣٤- معجم الشعراء: محمد بن عمران المرزباني، تحقيق: عبدالستار فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٣٥- مقالات في أثر الشعوبية في الأدب العربي وتاريخه: نعمة رحيم العَزَّاوي- نقابة المعلمين، بغداد.

٣٦-المكاثرة عند المذاكرة: أبوجعفر الطيالسي، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، كلية الإلهيات، أنقرة.

٣٧- المنمق في أخبار قريش: محمد بن حبيب البغدادي، تحقيق:خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت.

٣٨- نسب معد واليمن الكبير: هشام بن محمد الكلبي، تحقيق: د. ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت.

٣٩- نقائض جرير والفرزدق: أبوعبيدة معمر بن المثنى، تحقيق:أنطوني بيفن، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٠- نكت الهميان في نكت العميان: صلاح الدين بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد زكي باشا، المطبعة الجمالية، القاهرة (٩١).

٤١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين بن خلكان، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

ACADEMIC REFEREED JOURNAL OF
ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

GENERAL SUPERVISION
BOARD OF SCIENTIFIC, TEACHING AND
ADMINISTRATIVE AFFAIRS

EDITOR IN-CHIEF
Prof. IBRAHIM MOHAMMED SALQINI

EDITING DIRECTOR
DR. MOHAMMAD ABDUL RAHIM SULTAN AL OLAMA

EDITING BOARD
Prof. HATIM SALIH AL DHAMIN
Prof. RAJAB SAEED SHAHWAN
DR. IYADA AYOUB AL KUBAISI

ISSUE NO. 19
Rabi' AlAwal, 1421H - June 2000G

ISSN 1607- 209X

ISSN 1607-209X

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

Academic Refereed Journal of

ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

ISSUE NO. 19
Rabi' AlAwal, 1421H - June 2000G